المرأة

وذئاب تخنق ولا تأكل

محمد بن عمر بن عبدالرحمن بن عبدالله العقيل
(أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري)

210.
ع م م

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ مكتبة ابن حزم للنشر والتوزيع ، ١٤١٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الظاهري ، أبو عبد الرحمن بن عقيل

المراة وذئاب تخنق ولاتأكل ـ الرياض .

... ص ، .. سم

ردمك ٩ ـ ٢٠ ـ ٧٩٥ ـ ٩٩٦٠

١ ـ المرأة في الإسلام　　　أ ـ العنوان

ديوي ٢١٩،١　　　٢٥٨٩ / ١٧

رقم الإيداع : ٢٥٨٩ / ١٧

ردمك : ٩ ـ ٢٠ ـ ٧٩٥ ـ ٩٩٦٠

المرأة

وذئاب تخنق ولاتأكل

تاليف

محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيل

(أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري)

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ (مزيدة ومنقحة)

دار ابن حزم للنشر والتوزيع

ص . ب : ٢٢٥٦٦ / الرياض ١١٤١٦

هاتف وفاكس ٤٦٢١٥٤٢

﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ
وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا
فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ
فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ
وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي
الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [النساء: ٣٣، ٣٤].

استفتاح وتوطئة

الحمد لله الذي امتن علينا بعش الزوجية السعيد فقال: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الروم: ٢١].

وجعل الزوجية سبب النسل المنبثّ علىٰ ظهر المعمورة، فأوصانا بالتقوى إذ استخلفنا على الأرض، وأمرنا بصلة الأرحام فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء: ١].

كما أنه سبحانه وتعالى امتن علينا بشرعه الذي

وجّه المرأة إلى سعادتها في الدارين: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾

[النور: ٣١]

وجعل الله لنا الأسوة في أزواج رسوله ﷺ إذ رباهن ربهن وأحسن تربيتهن بشرعه المطهر، فقال هادياً لهن: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ

فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣]

ومن شرعه أن جعل القوامة للرجل؛ لأن خالق الخلق أعلم بما يصلحهم فقال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ... ﴾ [النساء: ٣٤].

ومن رغب عن شرع ربه بتنقص وازدراء، والتمس الهدى من عند غير الله؛ فقد فعل الكفر بلا مواربة، ويكفر من قامت عليه الحجة، وارتفع عنه العذر بجهالة أو فساد تأويل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي بعث نبيه ﷺ بالهدى ودين الحق وأنزل كتابه نوراً

وضياءً وهدى وفرقاناً وصدقاً وعدلاً .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أوصى بالنساء خيراً وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً .

أما بعد : فقد كتبت وطبعت بالقاهرة عام ١٣٩٤هـ كتيِّبي شعب بوان، واتخذ لي بعض الأحباب مقلباً، فدعيتُ لإدارة المباحث بالقاهرة فقابلت المسؤول بها الأستاذ محمود شعراوي ـ ولا أعلم ما هي رتبته العسكرية ـ، فناقشني في أمور تتعلق بتجمع بعض الأحباب لديَّ من مختلف الجنسيات لا سيما عبد الله القصيمي، وبامور تتعلق بشعب بوان، وكان لا يزال مسودة بالمطبعة، فأجريت بعض التعديلات، ومنحني من التشجيع ما هو خليق بحرية الكلمة في مصر.

والذي يظهر لي إلى هذه اللحظة أن استدعائي لم يكن إجراءاً رسميا، وإنما هو مبادرة كريمة من صديقي إبراهيم العسلي وصديقه محمود شعراوي .

وحدثني من أثق به أن الكتيب طبع في القاهرة بالآلة الكاتبة، وعُلِّق في فصول الدراسة بكليات الأزهر لتحريك الغيورين.

ورأيت بعد سنوات الهِمَمَ العاليةَ لرجال الأمن وبوليس الأخلاق في محاربة الرذيلة، وصاحب ذلك بروز الشعور الديني في الآفاق.

ويوم صدور الكتيب التهمه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز، وأبلغني الأستاذ عبد الله بن خميس نيابة عن سموه بشديد إعجابه بالكتيب.

وفي يوم الأربعاء ٢٧ / ٨ / ١٤١١هـ أبدى لي بعض المشايخ رغبته في طبع الكتيب منسقاً لما فيه من كلام طيب عن المرأة.

وراجعت الكتيب فرأيت حذف أشياء تتعلق بالفنون الجميلة، لأنه تغيَّر اجتهادي فيها.

وأضفت أشياء طفيفة في نطاق المرأة، واخترت

عنوانا جديداً: المرأة وذئاب تختنق ولا تأكل.

والخنق رمز جوع جنسي باعثه التداوي من الإثم بالإثم، وإيحاش القلب بالسلوك الرديئ، وجبنٌ وتقاعس عن الالتزام بمسؤوليات الزواج.

وذات مرة نقدت بعض لداتي الذين يتلقون كل فكر وافد بتسامح عقلي، فعبَّرت عن ذلك بأنوثة المتلقي.

إلا أن فتاة كاتبة أخذت عليَّ التعبير بأنوثة المتلقي، وجعلتُ لها حق العتب واللوم عن فرح ورضى، وبينت لها أننا لا نملك الحرية والاختيار إلا فيما منحنا ربنا القدرة على فعله وتركه.

وليس بقدرتنا واختيارنا فعل وجودنا، وكيفية وجودنا، بل خلقنا ربنا من ذكر وأنثى، وميز الله الأنثى بمنخفضات ومرتفعات، وأكرمها بالرجل يكدح لها فتكون دلال الرجل في شبابها وسيدة البيت والأسرة في شيخوختها.

وكان على الرجل إمعاناً في الوفاء أن يرقِّص لها سويعات العتمة وإن كان مكدوداً.

ووجدنا في مشاهدتنا الحسية أن الأنثى غير محرومة الحظ من الموهبة، بل منهن من تبزُّ كثيراً من الرجال موهبة وخلقاً والتزاماً.

وإنما وجدنا أن الرجل أصبر على الكدح والشمس ولفح الهجير والنسرين، ولا تعطله إجازة الأمومة ومقدماتها المضنية.

وقوة العضلات ليست هي أم المناقب، ولكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء... وفوارق الخلق عن حكمة ربانية مهيمنة.

ووجدنا أن المرأة أسرع إلى الانفعال، وإفشاء السر، ومقاومة الحُجَز.

ووجدنا أن المرأة بلا حماية الله ثم حماية الرجل عرضة للذئاب التي تخنق ولا تأكل.

ووجدنا أن أعتى الرجال يكون طفلا صغيراً ضعيفاً أمام سكنه وغذاء قلبه.

ووجدنا لغتنا العربية تقول: هم وهن، وهذا وهذه، والذي والتي، والأديب، والأديبة.

فإذا كانت الصفة خاصة بكن أعطيناكن الكلمة بدون تاء التأنيث كما في مادة الحاء والألف والهمزة والضاد، فهذه لا تؤنث.

ووجدنا شاعرنا زهير بن أبي سلمى حينما يبلغ قمة العفاف في الهجاء يقول:

وما أدري وسوف أخال أدري   أقوم آل حصن أم نساء؟!

ووجدنا شاعرنا عمر بن أبي ربيعة يقول:

كتب القتل والقتال علينا   وعلى الغانيات جر الذيول

ووجدنا فوق كل ذلك دين ربنا ينهى عن قتل النساء، ويجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، ويجعل شهادة المرأتين بشهادة رجل... إلخ.

وهذا الشرع منتهى العدل والمساواة والحكمة، لأنه شرع من خلق الذكر والأنثى، فالمفرق في الخلق هو المفرق في الشرع.

والمساواة هي تحديد المسؤولية وفق القدرة.

ولقد أكرم الله المرأة بالمتعة والأنوثة وجعل سعادة الرجل في ذلك.

وأكرم الله الرجل بالقوة والكدح والولاية وجعل سعادة الأنثى في ذلك.

والأنوثة هجاء للرجل لا للمرأة، كما أن الاسترجال هجاء للأنثى.

ونحن عرب، والعرب تغضب إذا استنوق الجمل!.

إن من لم تثقله نون النسوة هم والله أشفُّ وفاءً وغيرة منكن يا من تمتعن بالنونات.

فأول ذلك إجماع الوعي العربي على لعن شعر نزار قباني ومقاطعته حفاظاً على تمتعكن بنعمة الحياء!.

وثاني ذلك: أنكن لنا مجبنة مبخلة!.

وثالث ذلك: أن شِعرنا العربي كله بكاء منكن وعليكن، والحكمة التي تسيره هي رضاكن فحسب، وقلوبنا أحق بالرحمة، ومن عرف الهوى رحم القلوب.

وما أكثر شهدائنا بلا عقل ولا قود.

فأين هو شعركن النسائي الذي ينظِّم أجيادكن بأسماط لآلئ مصوغة من دموعكن وفاء وتضحية.

ولا ضير أن قال الجر:

والنرجس النعسان بلله الندى فاضاء مثل الدمع في عينيك

فهي إِضاءة أَثَرَة لم تبكين من أجلنا البتة، ونحن نحمل أعباءكن بأشباح وأشاجع.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكن.

أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

١٤١١هـ

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، فالكَوْن خلقه، والشرع حقه، فلا يصلح خلق الله غير شرع الله.. واعتداء الخلق على حق ربهم الشرعي بتحريفه، أو استبداله، أو الاستدراك عليه ظلم عظيم.. وكل توصية لله لعباده فهي من شرعه ومراده كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩) ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله.. عبد الله ورسوله الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة.. وعلى آله وصحبه أجمعين،

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. وكان من توصياته أن قال ـ كما في حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ـ: «اتقوا الله في النساء؛ فإنهن عوان[1] عندكم.. استحللتم فروجهن بكتاب الله عز وجل، وأخذتموهن بأمانة الله.. لا تضربوهن فإن ضربتم فاضربوهن غير مبرح.. خياركم خياركم لنسائهم، وأشراركم أشراركم لنسائهم.. وأنا خيركم لنسائي».

أما بعد: فهذه الطبعة الثالثة لهذا الكتيِّب، وقد طبع في طبعته الأولى عام ١٣٩٤هـ بعنوان (شعب بوان)، ثم عاودته بالتهذيب والتشذيب إضافة وحذفاً فصدرت طبعته الثانية عام ١٤١١هـ بعنوان (المرأة وذئاب تخنق ولا تأكل).

ووجدت الحاجة ماسة لإشاعته في مثل هذا الظرف الذي اختلطت فيه الدعاوي حول حق المرأة الشخصي

(١) جمع عانية وهي الأسيرة على التشبيه.

الذي منحه الله إياها، وحق الله الشرعي الذي لم يجعله من حرية البشر تشريعاً، وإنما لهم حرية السلوك كوناً لا شرعاً، فمن كان سلوكه وفقاً لإرادة ربه الشرعية كان من المؤمنين المخبتين، ومن كل سلوكه وفقاً لهواه كان من العاصين.. وفي العصيان ما يكون كفراً إذا كان رغبة عن شرع الله كما في تفسير الرسول ﷺ لقوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ.. ﴾ [التوبة: ٣١].. وذلك في مخاطبته لعدي بن حاتم رضي الله عنه.

وما نلمحه من إلحاح باسم حقوق المرأة وهو مما يخالف الشرع لا مسوغ له غير الهزيمة الروحية أمام الديموقراطية الغربية بمدلولها اللغوي والعرفي لدى القوم(٢)؛ لأن أحكام الشرع ـ لمن أراد تحكيمه ـ

---

(٢) أولى شيئ أن نعبر بالحريات المشروعة؛ لأن الديموقراطية تعني حكم الشعب للشعب لغة، وتعني عرفاً إسقاط حق الله في التشريع والسلوك، وعدم مراعاة رضاه في العقود.

واضحة، ولأن واقع المرأة الغربية (وهي تملك كل الحريات المشروعة وغير المشروعة) غير سعيد، وتود أن تكون طاعمة كاسية في قوامة زوج مستقيم، وفي عطف وحنان الوالدين والولد والحفيد وذي المحرم؛ لتتفرغ لنفسها وبيتها وولدها.. ولكنها لا تحلم بذلك في مجتمع انحلت فيه روابط الأسرة، فكان شبابها يضيع في المواخير وأحضان الأخدان، ثم تشيخ في عزلة وحاجة ونكران من أقرب قريب.. والمرأة المسلمة في شيخوختها سيدة يتبارى على إسعادها وجلب ودها الزوج والولد وذوو المحارم والعصبة والجار ببركة نظام الأسرة الإسلامي المتوارث.

وإذا تعدى نطاق العمل النسوي ما هو من خصائصهن، وزاحمن الرجال في أعمالهم، وهُجر البيت وتربية الولد لغير ضرورة قصوى: ترتب على ذلك بطالة الرجال، والاختلاط الذي لا نملك استباحته إلا

بشجاعة كفرية تقول: لا نريد شرع الله!!.

وترك مجال العمل الأرحب للرجل يحقق له تحمل القوامة التي خوله الله إياها، فيكون عليه النفقة، ويخلص المرأة من التزامات مالية واجتماعية ليست من وظيفتها، وتستقيم علاقات الأسرة، وتطيب تربية الولد.

وعلى هذا فينبغي أن تنطلق المناداة بحقوق المرأة عن ورع وعلم بالشرع، لتنال المرأة حقها الشرعي بلا تطغيف، ولتتمتع بما جعله الله من حريتها، ولنفرق بين ما كان شرعاً له صفة الثبات، وما كان ترخيصاً تحكمه الضرورة بقدرها.

والمرجع في كل ذلك ما ينطوي عليه الضمير من عقيدة: هل نريد شرع الله، أم نريد اتباع أهوائنا!؟.

وما ظلت هذه العقيدة تحكم توجهاتنا فلن يكون المسلم في عُتْمة، والحمد لله بدءاً وعوداً، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه

أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

عفا الله عنه

١٤١٧/٧/٢١هـ

كتيِّب شعب بوان

هذا الكتيِّب من هموم عامَي ١٣٩٤ – ١٣٩٥هـ وقد جئت إلى أرض الكنانة، وكنيت عنها يومها شعب بوان.

جئت إلى شعب الكنانة بشعور أبي الطيب في نونيته المشهورة يتجاذبني عاملا القلق والفرح، والخوف والأمل.

جئت من قرية شعارها لا إله إلا الله، ورمزها السيف؛ لأنه حامي العدالة.. وفي كل قرية مثلها لا أحس بالغربة؛ لأنني أرى سحنات آبائي.. سحنات كوتها الشمس فألهبتها رجولة وشيمة؟.

ولقد نأت بها الأمية ردحاً من الزمن، ولكنها توارثت بالرواية والمشافهة كل ما حفلت به القرون

الأولى المفضلة.

وقد يأبى العزم، أو تتعذر الوسيلة، ولكن الشعور حي، والعاطفة جياشة.

وحسبنا: أننا نضمر الاستلهام من سيرة السلف لو صحت عزائمنا.

وقد نحجم عن الرذيلة، ونقول: أنفعل كذا ونحن أبناء بلد كذا؟.

فننهج المسلك نخوة وطنية دون غفلة عن الدينونة لله، بيد أننا توارثنا الدينونة فحسبناها إرثاً لأجدادنا، أو وراثة من أعراقنا، أو بيئة حُبِّبَت بها رقعتنا!!.

إذن فلسنا نحس بالغربة عن تاريخنا، وإن تلقفناه مصادفة، أو تلقيناه دون تفطن أو دينوية.. ومقياس الغربة عندنا الشذوذ عن الإسلام والعروبة.

أما الإسلام فلأننا سدنته، ولأن لغتنا وملاحننا هي المرجع في فهمه.

وأما العروبة فلأننا نُحِبُّها، وهي دوحتنا.

ولكل من هذين المقياسين مظاهر تبدو في السحنة والمنظر، وفي الشفافية والمخبر.

مظاهر تأخذ الخير من أطرافه، وتبرأ من الشر بحذافيره.

وأرض الكنانة دوحتنا وواجهتنا، ولكن الأكثرين من أبناء الجزيرة العربية والأقلين من أرض الكنانة يحسون بالغربة والانجذاب بين الراحة والقلق.

ولقد عشت فترة من الغربة في جنان الكنانة وهي فترة عصيبة مؤلمة محزنة.

وهي شعب غير شعب بوان العجم الذي التفت إليه حصان أبي الطيب بعين ضارعة رجيمة.

لم تكن العامية ثمة مسامحة في النبرة، أو تجوزاً في الاشتقاق والتصريف، ولكنها لكنة وتنكُّر للضاد..

حتى الأسماء نستعيرها مفترضين مسرفين في الافتراض أن لغتنا عاجزة عن إرداف الألفاظ لمعاني كوشك، ومودموزيل، ومِرسيه، وكافتيريا، وجورنان.. إلخ.. إلخ!!.

ولكنها لغة يزينها الترف والحذاقة، والأناقة واللياقة.. ينبرون القاف من الجيم، فتأخذ بتلاليب القلوب[٣].

ولطالما بكى الأقلون، لأن النطق بلغة عمرو بن العاص يضحك الثكلى.

---

(٣) قلت عن هذه اللهجة بقصيدتي الرائية:

والقاف في خيلائها مهموزة … حرَّىٰ تباع لها القلوب وتُشترىٰ
لم تهمز القاف الكئيبة ضلة … إلا لتهمز قلب مذعور الكرى
والجيم قلقلها الدلال كأنها … تنغيمة الرشإ الغضيض معذَّراً
فاستشن يا ابن العاربين مليحة … عربية الأعراق تنشر عبهراً
لبست أفانين الحضارة مظهراً … لم يخف وشي الظرف منها الجوهرا
غيرت عقود العمر في أشواقها … مترنحات كالأهلة ضمرا

وكنت أرى في قريتي وجوهاً عريضة ملتحية.. لا يلحس الموس لحاها تخنثاً، ولا تفتل شنباتها تعنتراً، وإنما كانت ملامح مبهجة مع أنه لا عطر ولا عافية، ولكنها إشراقة الإيمان تعلو ثفنات السجود، وفراسة المؤمن تحف بالأهداب.

ولا عليكِ يا أرض الكنانة فإنك لا تغبنين، فقد كثرت الآن في بلادي وجوه كأنها العراجين الضاحية[٤].

عراجين ليست هي الملامح التي افترعناها من مناجب العروبة، وليست هي الوصاية التي أخذناها إما أمراً كإعفاء اللحىٰ، وإما تقصُّداً لتحمل الوصاية كاللباس المعين على الوضوء والصلاة.

فإن لباس الغربة هذه لن يصون المسلم عن

---

(٤) كان هذا قبل الشعور الديني، والعودة إلى العزائم.. يوم كان الملتحي أندر من الكبريت الأحمر.

النجاسات، وربما اضطره إلى البول واقفاً، ولم تكن ميراثاً تاريخياً، ولم تكن أخذاً بالجديد النافع.

وأنا في غربتي أفرنجي التوقيت فوضويه، ولحظاتي مسعورة، فالأيام والشهور والسنين ليست هي الهجرية التي يبدأ بها تاريخنا، والتوقيت اليومي تجده ثلاث دفعات: من التاسعة صباحاً إلى الثالثة ظهراً، ومن السادسة مساءاً إلى الثالثة ليلاً.. ثم من الثالثة إلى التاسعة.

أي والله لا تجد في غربتي التوقيت بأذان الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر الأول والآخر، وإنما هي كرعات مخمورة مسعورة ليس فيها لله سبحانه وتعالى أي لحظة مخلصة جادة.

وبنت حواء في قريتي تؤمن إيماناً عملياً أنها مثار الإغراء فليست تفتتنا.

ونحن نؤمن إيماناً عملياً بأن النظرة سهم مسموم

فلسنا نتعرض لدواعي الفتنة.

ونحن وهن نؤمن بأن هذا الكون خلق الله، فلم نفكر كيف نصلحه، ولكننا نفكر كيف نتمثل استصلاح الله لنا حسب مراده منا، فنستفتي فقهاءنا وعلماءنا عما سنه ربنا الذي خلق الكون، ثم نتبع ما قالوا.. لا نجد في أنفسنا حرجاً.

وإيماناً بأن الدين شرع الله، وأن الكون خلق الله: تكون النتيجة أن شرع الخالق أولى بالاتباع، لأن الله شرع لشيئ خلقه، وخالق الشيئ أعلم بما يصلحه.

وكان للعلماء السيطرة، لأن حكومتنا لم تقم إلا على دعوة الإخلاص وبوصايةٍ من علماء الملة وعدولها.

لم يكن عبد العزيز الأول يتخلف عن مجالس الذكر والوعظ حتى في أسفاره، وإنما ذكر المؤرخون أن مطيته تسير به بين ظعائن عن يمينه وعن شماله.. يسرن هادئات تترنح أعناقهن لا على الغناء والمزمار، ولكن

على صوت مقرئ حسن الصوت يتلو ما شاء الله من كتاب الله، ثم يتلوه من يدندن بالموعظة من سنة الرسول ﷺ وأقوال السلف.. أي والله هكذا كان حكامنا في السابق في حلهم وترحالهم.

ثم جاء عبد العزيز مؤسس المملكة وكان فيصلاً صارماً، ولكنه يسلِّم المقاليد إذا جاءت الكلمة من عالم له وزنه لا يحابي ولا يداجي.. يسلمها تديُّناً لا تملقاً ولا خوفاً من شعبية؛ لأن الشعبية ما زالت ولن تزال بحول الله للدولة التي أعزها الله بالإسالم ولله الفضل عليها والمنة، وعليها أن تشكر وتمتثل، ولا تنس عهد ابن عبد الوهاب السلفي، ولا تلين قناتها لسفهاء الأحلام المزمرة.

والكلمة في جوهر الأمر وحقيقته وخباياه لا تزال ولن تزال لعلماء الملة وعدولها: يأخذون من لين مالك وأبي يوسف، ومن شدة ابن حنبل وابن عبد السلام

وابن تيمية ما يحيون به سيرة السلف من الصحابة وتلاميذهم رضوان الله عليهم، وينفذون بذلك وصية الله للعلماء، ويتحللون بالامتثال من ميثاقه الذي واثقهم به، ولا يتحسسون ولا يتجسسون.. ولكن أنَّىٰ لمشبوه أن يعلن بريبة، وأنى للفاسقين أن يفتحوا حوانيتهم وينبثوا في الطرقات إذا حيعل المنادي ووجبت المكتوبة!!.

وفي قريتي كانت البنت تلهو مع أبناء حيها وهي في حدود السابعة من عمرها لا يبدو منها إلا كفها وقدمها ووجهها، ثم تأخذها تقاليد البيئة بالشدة، فلا يكاد يُسمح لها بعبث في الكلام يتعدى الحدود، وكل عبث من بنت هذه السن بريئ، ولكنه الأخذ بالحجز وسد الذرائع.

ولا يكاد يسمح لأخيها أو أبيها أو أمها أو عمها أن يعبث بمزح بريئ أمامها.

وبنت ذلك السن تحتجب عن غير ذوي المحارم لا يكاد يرمقها الرائي إلا على غرة، ولا يكاد يتقصد مباغتتها إلا راغب لخطبتها.

وإن الزوج ليأخذ بيدها وهي لما قبل ذلك تضيع حيلتها وتضيق لو وقع النقد بيدها.

إنها طاعمة كاسية ليست تحتاج إلى أصباغ وعطور وزينة وأجور تنقلات وفساتين حفلات؛ لأن الأوان لم يحن لهذه الأمور، ولأن تقاليدها لا تكلفها ذلك، فهي في كنف القوامة، وهي حق من حقوق النساء أهدرته حضارة العصر.

ففي قوامة الوالد تطعم وتكتسي من أفضل ما يطعمه ويكتسيه أهلها، لأن أهل قريتي يؤثرون أولادهم على أنفسهم، ويؤثرون بناتهم على بنيهم.. يحدوهم الرحمة لهن.

وأهل قريتي يقولون: أبو البنيات مرزوق.

وحينما يأخذ الزوج بيدها تنتقل إلى قوامته يضمن رزقها وراحتها، ويرقِّص لها سويعات بعد العتمة وإن أرهقته أعباء الحياة.. لا ترهقه ولا يعنتها؛ لأنها لا تتأبط حقيبتها تغدو وتروح لكسب لقمة عيشها: إما عاملة، وإما مضيفة، وإما واجهة للوافدين، وإما عارضة جسدها.. إنها لا تحتاج من الزينة إلا ما يملأ عين زوجها حينما يُفضي إليها، أو تناغي به بنات جنسها في ندوات كريمة محفوظة.

وطبيعة عملها لا تعنت الزوج فيلتمس له خدينة، ويلتمس لها ولأطفالها خادمة أو مربية.

إنما على الأنثى أن تلامس حيطان البيت بحنانها ودفئها، وتربي أولادها.. وعلى الزوج أن يملأ قلبها بالبسمة والعطاء والأمل، ويكدح لينفق، وفي معتقده أن خيركم خيركم لأهله، وابدأ بمن تعول.

وكذب من يقول: إن الاختلاط مع السفور وشبه

العري وحرية الخروج لا يمكن أن يكون سبباً للدعارة، وإن ثقافة البنت وحريتها يكسبها قوة الشخصية فلا تلين؟.

نقول: كذب هؤلاء؛ لأننا نعيش تجربة في البلاد المجاورة تصدِّق ما كذَّب به هؤلاء من وازع الدين، ونيِّر البصيرة، وفحوى القيم.

ويشهد بأن هذه التجربة واقع نعيشه أمور:

أولها وأهمها: ظاهرة الدعارة، وهي ظاهرة لا نعرف لها سبباً غير الاختلاط مع السفور والحرية، وهي ظاهرة عامة لا تقية فيها ولا خفاء.

وثانيها: أن شوارد الريم الهاملة في غربتي تلك لا تنقصهن الثقافة، ولا تعوزهن قوة الشخصية، ولكنهنَّ طيِّعات ليِّنات، ليست فيهن وحشة الظباء في مجاهل صحرائنا.

وثالثها: أن من ربيت تربية إسلامية حصيفة

حكيمة (وما أندر ذلك) عشرين سنة أو أكثر ثم سمح لها بالسفور والاختلاط والحرية في الغدو والرواح: فلا آمن عليها الفتنة خلال سنة واحدة، لأن النظرات الحريصة إذا توقدت من متخنفس أكحل ألعس أكلت قلبها ولانت ولو بعد جماح.. قال بشار:

عسر النساء إلى مياسرة
والصعب يسكن بعدما جمحا

وقد تغلظ القول، ولكن بشاراً يقول: لا تيأس.

إن التلفون في غربتي يقول: هيت لك في كل لحظة؟!.

وعيون الشابات يتوسلن في كل ملتقى ومطرح.

ويتجدد الخناق بين فينة وفينة إذا سبت الأعراض في حكاية فعل ماض، أو في التلويح بفعل مضارع.

ومن أراد أن يعرض نفسه للتلف فليشتم صالحاً ابن

صالحة.. ولكن كل شيئ مباح إلا الشتيمة.

ولقد علمني الإمام أبو محمد ابن حزم رضي الله عنه: أن أهل الحرف الخسيسة أشد الناس شتائم، وأكثرهم غضباً، ولكنهم أكثر الناس ولوغاً في الخطيئة.. قال رحمه الله: «أشد الناس استعظاماً للعيوب بلسانه هو أشدهم استسهالاً لها بفعله.. ويتبين ذلك في مسافهات أهل البذاء، ومشاتمات الأراذل البالغين غاية الرذالة من الصناعات الخسيسة من الرجال والنساء كأهل التعيش بالزمير وكنس الحشوش والخادمين في المجازر وساكني دور الحمل المباحة لكراء الجماعات الرذلة، والساسة للدواب.. فإن كل من ذكرنا أشد الخلق رمياً من بعضهم لبعض بالقبائح، وأكثرهم عيباً بالفضائح، وهم أوغل الناس فيها وأشهرهم بها»(٥).

(٥) انظر مداواة النفوس ضمن رسائل ابن حزم ١/٤٠٣/ تحقيق الدكتور إحسان عباس/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ.

وفي قريتي قد يوجد متسفِّه تنبو منه كلمة تمس كرامة العرض، ولكن يصحب ذلك العفو والصفح في لحظات موتورة؛ لأن الناس واثقون من أنفسهم.

فإن جاءت الوقيعة من فاضل مسموع الكلمة فإن المقذوف هو الغالب على كل تقدير؛ لأنه لن يكون خاطئاً إلا على غرة.. بغفلته عن شروط الشرع وقيوده التي يؤخذ بها فاسدو الأخلاق.

وفي غربتي لا آمن أن يقول للمقذوف الخاطئ ألف رجل وألف امرأة: إننا نشهد على خطيئتك.

فهذه ظاهرة من ظاهرات الدعارة العامة الشاملة.. وثمة ظاهرة أخرى، وهي أنك تأنس إلى سمر القوم وتناجيهم فلا تجد إلا الاستعراض والتحليل والنقد لأخلاق داعرة، مع تقنين وفكْرنة للعلاقات غير الشريفة، أو التقنين للسلوك المستقيم للعلاقات غير الشريفة.. أو إن شئت فقل: إشاعة القانون للاقانون.

ونحن نعرف أن الفقر يكاد يكون كفراً، ونعرف أن الفقر يكاد يشكل أكبر البواعث للدعارة، ولكنه ليس كل البواعث؛ لأن هناك من أثرى ولم يشبع، وهناك من كان مكتفياً ولكنه كان متشهياً.. وإنما ندعو إلى معالجة ما كان سبباً للدعارة من الفقر، وجماع العلاج أن نعطي البنت ولا نأخذ منها تحملاً للقوامة التي فرضها الله علينا، فنزيح عن الميدان آلاف البنات، ولا نترك ذكراً عاطلاً، ونعهد إلى نسائنابوظائفهن التي جعلها الله لهن بأن يكن ربات بيوت ومربيات رجال وأجيال.

ولا نقول لها: اكتسبي لتريحي ضميرك، ولكن الزمي بيتك لتسعدي، ولنهب لك قلباً تحبينه ويحبك فيريحك من النفقة، ويشبع غريزتك، ويصونك عن الذئاب التي تخنق ولا تأكل.

واذكرن أيتها النساء أن الله حباكن نعمة السكن. وامتن علينا ربنا بهذه النعمة في سورة الروم.

وامنعوا بعد ذلك السفور والاختلاط وحرية المرأة في الخروج والعودة، وأشيعوا فيها نعمة الحياء والشعور بوازع الدين والخلق، ولا تخرج إلا مع ذي محرم غيور وهي محتشمة.

ولا تجعلوا الخمور دناناً مسندة، ولا تستهينوا بالتوافه في حق البنات، فإن الدخان وهو أهون الخطر إذا كان من احتياجات البنت فسيكون من مظاهر فسادها وبُعْدِها عن دينها، ومن هان عليه دينه وضيعه أهله افترسته الدعارة بنتنها وقبحها.

ولن تصل البنت إلى شرب الدخان وقيادة السيارة إلا بعد استباحة السفور والتبرج والاختلاط، ولأنها لن تشرب الخمر إلا لتسلم نفسها على غرة، هذا إن ادعت أنها بريئة.

إن هذه الأمور إذا تضافرت قضت على ألوان الفقر التي قادت إلى الدعارة، وإن هذه الأمور إذا تضافرت

لا تؤتي ثمارها في لحظة؛ لأن كل شيئ في البلاد التي أبيح فيها السفور يحتاج إلى بناء من جهة البنت . . فإن قلت : كيف ذلك؟ .

قلت : إن ميدان العمل سيتسع أمام الرجال فيجدون مجالاً للكسب الحلال .

وقبوع المرأة في بيتها وتمسكها بدينها يوفر على الزوج مطالب الحياة، ويريح المرأة من التعب ووخز الضمير، ويعتقها من احتياجات ليست من وحي فطرتها .

إن جلوس المرأة في بيتها غنى للأمة وسلامة لناشئتها، واستصلاح لأعراقها؛ لأنها تقعد ليكدح من خلقه الله للكدح، ولأنها تقعد لتوفر على نفسها وعلى زوجها حضانة طفلها وخدمة بيتها، ولأنها تقعد فتريح قلبها من كلف ليست من فطرتها .

وإذا عزم الأمر فلم يكن سفور ولا اختلاط: فإن الرجل لن يجد خدناً للهوه وإثمه، فيضطر إلى طلب الزواج وتحمل مسؤولياته.

إن الناس في غربتي يشكون تفكك الأسرة، وإن كثيراً من هوامل الريم غير الشُّرَّد يتمنين العفة والحصانة بزوج مكتمل الرجولة.

ولا يلام الرجل إذا لم يتزوج؛ لأنه لا يثق بالمرأة، ولأنه لا يشكو الحرمان.

والغرباء من أبناء الجزيرة (وكثير منهم حثالات) ستستقيم بهم الأمور لو تلقفت إرادتهم مشاعرهم الخفية المؤلمة؛ لأنهم يمارسون الخطيئة ثم يحترقون ويبكون ويتألمون، وينسون أنهم - حال فعلتهم - كانوا تحت وصاية العقلاء والعلماء.

فما أحرانا أن تكون الوصاية بيدنا على أنفسنا، فننطلق من فطرتنا ونقول: يا من فرطوا في واجب الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر: لقد أضعتم فرض الكفاية وأنتم رجال الفكر والحفظ، فتحملنا الأمانة بوحي من فطرتنا وتجربتنا!!.

إننا ننغمس فإذا أحسسنا أن الشيطان ضحك علينا اتجهنا لله بركعات، ولكن عيوننا مغمضة، وأصابعنا مقبوضة خجلاً وحياءاً.

إن بهيميتنا لا تبخل علينا بالتفدية، ولكن قلوبنا وعقولنا تقول: إننا لا نستحق التفدية إن استهلكنا العمر على هذه الانغماسة.

إننا نخطئ، ولكننا نعلم أننا أصحاب قوامة، ولم نيأس من سرعة الفيئة، لأن أحلكنا جهلاً لا ينسى قوامته في انغماسته.

وقد يغيب الوعي، ويتقنع القلب، وتتغلب الإرادة على العقل، فيعيش أبو الطيب في شعب بوان بحسه وعرمه كحمار الوحش تطلقه في روضة غناء يترنح مع

أتنه في مأمن من مفاجآت القدر.

وربما يصحو الضمير ويحتَرُّ العقل، فيحس أبو الطيب بالغربة في آلامه وآماله، وفي عواطفه وأفكاره، وفي شعوره وحدسه.

إن هذه الحياة الحسية المفعمة المشابهة لزعل الحمر والأتن تؤلم العقل والقلب، وتصفع الفلسفة من وجوه:

أولها: أنها قبوع في شهوة حسية عارمة في غفلة من الشعور الحي العاقل.

وثانيها: أنها نتيجة لتنحية العبودية التي حرر الله منها البشر منذ أعلنها محمد بن عبد الله ﷺ بيضاء نقية لم تشب.

وثالثها: أن من غفلوا حتى مات شعورهم يعتبرون هذه العبودية حرية، وما أعظم فادح الأمة إذا اختل منطقها وانتكست مفاهيمها!.

إنهم بهذا الحسبان يحيفون على المرأة ويهدرون حريتها ويغمطونها حقها؛ لأن حقها في إتاحة جوها الفطري، وإن حريتها في تخليصها من عقابيل حضارة انحرفت بها عن طبيعة تكوينها الأنوثي.

فعهدي بالمرأة في قريتي تكون ملكة القلوب في شبابها ينعم بها زوجها وتنعم به، فإذا ذبلت زهرتها النافحة أصبحت سيدة المنزل، لأنها أخت الزوج وأم الشباب كله في البيت لا يصدرون إلا عن أمرها.

ولو كان شيئ فوق العتب واللوم لكان ذلك أرض الكنانة المباركة، وإنما أعتب بإدلال ابنٍ لدى أم حنونة كريمة؛ لأنني لا أريد أن تكون غريبة عن دوحتي وهي واجهتها، ولأنني إذا اختتمت القرآن دعوت لأساتذتي ومشايخي منذ نعومة أظفاري إلى تشقق قدمي.. ومن كنانة الله كان أولئك.

إن لكنانة الله حقاً علينا منذ حملنا القلم، ولهذا

كنا نهفو إليه ونترك أهلنا، ثم يزعجنا أن نكون في غربة.

وإن رفوف مكتبتي تحمل آلاف الكتب لأهل بوان هي خلاصة الفكر والعقل تبث في مشارق الأرض ومغاربها.

فلماذا لا يتحمل هؤلاء الخيرون مسؤولية التوجيه الإسلامية والعقلية في الكنانة نفسها[٦]؟.

لماذا لا يحرر هؤلاء مجتمعهم من بدع العوائد والعقائد؟.

لماذا يعلِّم ماوتسي تنق رفاقه علناً في شعب بوان وتعاليمه غريبة عن فطرتنا ومستقبلنا وآلامنا وآمالنا وعقولنا وأخيلتنا وعواطفنا الرحيمة؟.

لماذا يلعلع المزمار ويصمت المنبر في أعظم مواسم

---

(٦) ولقد تحملوها بفضل الله على نحو يبشر بخير.

العبادة شهر رمضان المبارك؟.

لماذا لا نطهِّر مكاسبنا من أدران السمسرة والنصْب وبيع المحرمات؟.

لماذا لا نرفع رؤوسنا عما هان به اللسان ووقر في القلب مما يسمونه بقشيشاً يُلحق بكل خدمة ولو كانت واجبة؟.

لماذا لا نستفتي الدين عن حكم الحلف بغير الله؟.

لماذا لا نرجع إلى أنفة المسلم وعزة العربي فنأبى التفضل، ونبسط العرف، ونبرأ من المادة الخسيسة؟.

لماذا لا نجعل متعة السائح المنحرف من أعز المتع وأندرها، ونفتح للكسب الحلال سياحة لا إثم فيها؟.. ولا بأس إذا شابها شيئ من العبث البريئ.

لماذا هذا كله يا مشايخي وقرة عيني؟.

لماذا كل هذا يا أمل دوحتنا الكريمة، وتاريخنا

الجهوري؟.

إن في أرض الكنانة من مظاهر القوة والعزة، ومن صالات اللهو العفيف الراقي ما يوفر لها الخير كله.

من الممكن أن تجند السياحة لتوظيف رحلات ومواعيد للآثار والمآثر والمتاحف والمكتبات، وإنجازات العشرين سنة وتخطيطات المئة سنة.

وفي شعب بوان من أقطاب الفن والطرب والشعر والنثر والخطابة والفكاهة والعلم والمحاضرة ما يضمن قيام ندوات مستمرة تعمرها نفحات البخور وعبير الأفاوية وذلك أجدى من نتن الخمور.. وحينئذ نضمن أعلى رقم من السياح الصلحاء.

إن في بلاد السفور بعامة هوامل تلغ في الخطيئة وتلحسها، ولكن مشاعرها نبيلة وعواطفها جياشة، بيد أنها تفقد الحماية والحضانة، وتشح عليها المواهب الكبيرة بالإنارة والتوعية.

ولا يُعفى من الحرج أن يكون القانون نبيلاً في بعض الملامح أو أكثرها، فلا بد للقانون من سلطة تحميه وتشيعه، والله سبحانه لم ينزل القرآن إلى الأرض دفعة واحدة مكتوباً يقرؤه الناس أو لا يقرؤونه، وإنما جعله رسالة وأمانة، وجعل له أوصياء أمناء يبلغونه وينفذونه، وأوجب عليهم أن يقاتلوا أبناء جلدتهم وفلذات أكبادهم من أجله.

إن تنفيذ الحدود في شرعنا يعنى إشاعة دين الله وتنفيذه وحمايته، وإن الله ليرضى عنا إذا أقمنا حدوده ولو كعت أنفسنا؛ لأننا نغار لله ونسخط لأجله، ولهذا قال: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾.

وبعد: فإن أهل الكنانة عظماء في قلوبنا وآمالنا، وفي عددهم ومددهم، وقدراتهم ومواهبهم.

ويدنا بسواهم بعد الله يد يتيمة، واليد الواحدة لا تصفق.

قال أبو عبد الرحمن: أسلفت أن عتبي من إدلال المحب الوامق، وأضيف ها هنا أنه نقد ذاتي لأنفسنا قبل أن يكون عتباً.

كيف لا وقد وقر في تصوري ووجداني أن كنانة الله فوق العتب، بل لها العتبى.

* * *

لقد كتبت في تباريحي بالمجلة العربية عام ١٩٨٥م مخاطباً رئيس كتابها الأستاذ حمد القاضي فقلت: «دعني هذه المرة من تباريح الذكريات واتركني لعواطف تجيش فتطفو وتصفو كالبحر تغازله الدرة والقشة.. إن أخذت القلم من مقبضه بعد صفائها لم أجد ما أريد، وإن سللت شباته وهي كالتيار في عنفوانه جاء حرفي مضطرباً متمزقاً، ولقد اخترت الأخرى؛ لأضمن حرارة النبع، فليس من هدفي رصف الكلام!!.

لقد أخذت على نفسي منذ عقودٍ البعدَ عن المغريات المهيجات، وكنت عسيفاً لمسامرة الطروس ومضاحكة المحابر، ولكن يتسرب إليَّ من المنافذ المغلقة أحياناً هتاف يذكر بالمنسيِّ، ويبعث ذكريات أودعتها في الذمة، وربما كان هذا الهتاف شبَّابة شبهِ راع من الريف أو الصعيد كصاحب «الفراولة»!!.

وها هنا تجيش خوالج لا يقدر على وأدها أحناء شويخ يخب بذيول الخمسين!![7].

وها هنا ينطبع على محياي ـ بلا عناء، ولا بطء ـ قبلة سبعين مليوناً لا أبالي أن كانت داري دارهم، وجواري جوارهم.

سبعون مليوناً لا ترى فيهم إلا عالماً أو مفكراً أو موهوباً أو فناناً أو أريحياً.

ولا أستثني العوام والأميين، لأنهم مادة كل فن ـ

---

(٧) والآن في ذيول الستين.

مقروء، أو مسموع، أو منظور ـ من فنون الريف والصعيد .

وفنون السبعين مليوناً كلها عبقرية .

إذن هم مادة الفن العبقري، وإذن فهم كلهم عبقريون وأريحيون .

سبعون مليوناً تبتهل لمحسنهم، وتطرب لظريفهم، وتقدر منحرفهم وتأسف له؛ لأن الأسف وليد المحبة .

وعلى أيديهم رضعتُ العلم، وبحنوهم نشز العظم ونبت اللحم، فأنقذني الله من ظلامة الجهل! .

وبمواهبهم ـ بعد الله ـ عمرتُ فردوس دنياي وديني إن شاء الله بين جدران من الطروس ضَفَّرَ مرائرها كل فحل ممسوح الغرة من الأزهر، أو من دار العلوم، أو من جامعات العالم .

ومن ظرفائهم تعلمت طب القلوب، وسبرت أسرار العواطف .

وصفوهم بالمجاملة أو شبهها لنقاوة ونصوع العلاقة بين الراعي والرعية خلال مجمل تاريخهم السياسي، وهذه منقبة لعمر الله .. وأي منقبة؟!.

على أنه لا أحد يباريهم في صلابة الرأي والتصميم عليه، فأقطابهم لعمر الله هم ضحايا المبدأ، وسدنة الكلمة التي توصف بالشرف.

وهل ثمة أروع من تصميم وصلابة آل قطب، وآل الغزالي، وعبد القادر عودة، والهضيبي، ومحمد أبو زهرة... ووو... مما لا يحصيه العد.

هي بلد المقريزي وابن حجر والسخاوي وشوقي وناجي وزكي مبارك ... ووو... مما لا يحصيه العد.

هم معلمو العالم العربي والإسلامي في العصور الأخيرة وإن جحدهم بعض الجاحدين اليوم.

قمم وأشياخ منهم تداعتْ بعد أعمار طويلة مباركة في الجد والهزل، والفكر والظرف، والتسديد والشطح، فخَلَفهم خَلْف أضاعوا جلال الجد وجمال الهزل، ففقدنا بعدهم طعم المأثور.

أما عامتهم فقد أمتع الله قلوبهم بالسكينة وسلوكهم بالأريحية.. لا يعرفون العقد النفسية والوجوم وإن كانت بيوتهم وجيوبهم أفرغ من فؤاد أم موسى، وإنما تتدفق ضحكاتهم إلى أطراف آذانهم، فهم بكفاحهم المرير في تحصيل لقمة العيش قدوة الكادح الصبور، وهم في رضاهم وفرحهم قدوة الشكور.

وفي ظني أن النسغ والبلسم سيتدفق من نيلهم الخالد.

فإلى سبعين مليون أريحي سبعين مليون تحية، وسبعين مليون قبلة، وسبعين مليون إعجاب وإكبار.

قال أبو عبد الرحمن: فهذه العاطفة الصادقة برهان قاطع على أن نقدي عتب ذي إخلاص لا مرية فيه، ونقد ذاتي عام.. ومن استانبول كتب إليَّ الطبيب المصري الدكتور محمد فخر الدين القعقاع بقصيدة يقول فيها:

حديثك الشهد أرواني وأشبعني
وقولك الحق في الأعماق أسعدني
دلت تباريح نفسي في معيّته
ومن التباريح ما يشفي من الحزن
طالعته لوحة بالحب ناطقة
بين الأشقاء تستهدي وتبهرني
أصبت يا ابن عقيل في مقالكمُ
كبد الحقيقة بالتلميح والعلن
كلمات صدق بقلبي كان موقعها
يا طيبها كلمات عن بني وطني
روح الوفاء تسامت بين أسطرها
وَجَبَ الوفاءُ لمن بالأمس علمني!

أطريت عشقهمُ للفن كلهمُ
هم العباقر يرتقون كالشكنِ
آنستَ روحيَ بالأقطاب من بلدي
أهل التقى والنقى والنور في الدجن
حييتهم قمماً في العلم شامخة
حدثت عنهم حديث المخلص الفطن
وفي المعاناة كم أنصفت بذلهمُ
كم يدفعون بلا منٍّ ولا ثمن
فالفقر يعني فراغ العقل عندهم
وليس فقراً فراغ الجيب والسكن!
هذي قناعتهم لأجلها ضحكوا
تحرروا من قيود الزيف والفتن
فيا أخي اهدهم ما شئت من قبل
فإليك اضعافها من معجب لقن!

وجاءت أحداث الخليج المروعة عام ١٤١١هـ، فأعاد الأستاذ القاضي نشر كلمتي تلك في نفس التباريح، فلقيت نفس التبجيل، فمن مصر كتب إلي السيد الصديق حافظ بهذه القصيدة:

عرفت لمصر فضلها ومكانها
فقلت ـ رعاك الله ـ كل جميل
تحييك مصر نيلها ونخيلها
وشعبٌ أبيٌّ الروح جد نبيل
تقوم على الدنيا براهين مجده
وها هي ذي الأمجاد خير دليل
بناها رجال أهل علم وحكمة
وعزم كعزم الجن غير كليل
فلا تستمع فيها مقال مكابر
فما ذلك الإعجاز صنع ذليل
حضارتهم ليست ركام حجارة
وأطلال ربع في القفار محيل(٨)

(٨) قال أبو عبد الرحمن: الحجارة والأطلال آثار سلوك ورع متقشف أنتج عبقرية في الحرب كخالد بن الوليد، وعبقرية في السياسة والعدالة كأبي بكر وعمر، وعبقرية في الفقه كعلي بن أبي طالب.. رضي الله عنهم جميعهم.. وعبقريات في الأدب كجرير.. واليوم نحن نعيش في الحضارة المعمارية الشاهقة، وأمثال ذلك.

وما زال أسلوب السلوك الزاهد في المظهرية في تدفق وعطاء حتى أنتج أعظم وحدة دينية وطنية عربية اسمها المملكة العربية السعودية.. وهناك حضارات وثنية صامتة نصبها الله دليلاً على الطاغين الهالكين كعاد وثمود والفراعنة.

ولكن علوم مستراد لمثلها
وأخلاق جيل رائع وقبيل

* * *

بلاد لها بالوحي عهد وصحبة
وبالرسل من مستوزر وخليل
كنانته في الأرض فاضت شعابها
جياداً وفرساناً وعذب صهيل
سلوا يوم كيبور وحطين عنهمُ
وعن كل ماضي الشفرتين صقيل(٩)
رأت عينُ جالوتٍ حماة عقيدة
ترد عن الإسلام شر دخيل
فهم خير جند الأرض ما دام فوقها
مصارع أغوال ومانع غيل
فلا أبرأ الباري مراضاً ببغضها
ولا بلغو منها شفاء غليل

(٩) يوم كيبور: السبت الحزين عند اليهود (السيد الصديق).

ستبقى لهذا الشرق درة تاجة
على كل حال مبرم وسحيل

وتلقيت تقريظاً مجنحاً من الأستاذ عبد الحكيم حيدر، ومحمد حامد محمد.. وذلك غير ما نشرته الصحافة.

والشاهد بعد ذلك أن الحب محركي، والوفاء قائدي، والإصلاح غايتي والله المستعان.

والحمد لله رب العالمين، وسلام على عباده المرسلين.

كتبه

أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

فجر يوم السبت ١٤/٩/١٤١١هـ

فهرس الموضوعات

اسم الموضوع	رقم الصفحة
استفتاح وتوطئة:	٥ – ١٤
استفتاح يتضمن وظيفة الرجل والمرأة في القرآن الكريم ...	٥ – ٨
قصة هذا الكتيب منذ كان بعنوان «شِعْبُ بوَّان» واستدعائي للمباحث بالقاهرة، وأثره منذ صدوره، وقصة إعادة طبعه بغير عنوان مهذباً، وتفسير العنوان الجديد	٨ – ١٠
سَبْحٌ أدبي بمناسبة انتقاد إحداهن لي في تعبيري بأنوثة المتلقي!	١٠ – ١٤
مقدمة الطبعة الثالثة:	١٥ – ٢٠
استفتاح	١٥ – ١٦
الباعث لإعادة طبعه، وكلام عن حقوق المرأة	١٦ – ٢٠
كتيِّب شعب بوان:	٢١ – ٤٧
القروي من جزيرة العرب، وأرض الكنانة	٢١ – ٣١ و٣٩ – ٤١ و ٤٢
من شعر المؤلف في عامية مصر [حاشية]	٢٤
آثار السفور والاختلاط في الانحراف	٣١ – ٣٣ و ٣٧ – ٣٩

اسم الموضوع	رقم الصفحة
استسهال الوالغين في الخطيئة للشتائم والقذف، وكلمة الإمام ابن حزم في ذلك	٣٣ – ٣٥
القانون لما هو غير قانوني	٣٥
هل الفقر من أسباب الفساد؟	٣٦
علاج الفساد بإقعاد المرأة وتشغيل الرجل	٣٨
نقد الحياة الشهوانية	٤١ – ٤٢
مديح وعتب موضوعه أرض الكنانة	٤٢ – ٥٢
فضلاء من أرض الكنانة يطارحون المؤلف شعراً	٥٢ – ٥٦
السلوك الزاهد، والحضارات الوثنية الصامتة [حاشية] . .	٥٤

* * *

تم الفراغ منه بفندق أبي نواس بتونس بعد ظهر يوم
الجمعة الموافق ١٤١٧/٨/٢٤ هـ.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،
وسلام على عباده المرسلين.

منشورات دار ابن حزم

أولاً: مؤلفات أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري:

١ - جدلية العقل الأدبي المطابع العالمية ١٤١٥هـ
٢ - جدلية العقل في الفكر والعبودية، المطابع العالمية ١٤١٥هـ
٣ - لا صلاة للفذ خلف الصف، المطابع العالمية ١٤١٥هـ
٤ - شيئ من التباريح مطبعة سفير ١٤١٥هـ
٥ - تعليم الصبيان والمبتدئين مطبعة البادية ١٤١٥هـ
٦ - ليلة في جاردن سيتي مطابع الخالد ١٤١٥هـ
٧ - بطلان حديث من عشق فعف مطابع الخالد ١٤١٥هـ
٨ - من هموم القرية مطبعة النرجس ١٤١٥هـ
٩ - حي ميري مطابع طيبة ١٤١٦هـ
١٠ - أبو نصر الفارابي مطابع طيبة ١٤١٦هـ
١١ - كتب الفهارس والبرامج المطابع العالمية ١٤١٦هـ
١٢ - شيئ من العبث الصوفي مطابع طيبة ١٤١٦هـ
١٣ - مسند بلال بن رباح مطبة النرجس ١٤١٦هـ
١٤ - جزء ابن الجلابي مطبعة العبيكان ١٤١٦هـ
١٥ - الحق الطبيعي وقوانينه مطبعة العبيكان ١٤١٦هـ
١٦ - معادلات في خرائط الأطلس مطبعة الحميضي ١٤١٧هـ
١٧ - آل إبراهيم الفضليون مطبعة العصر ١٤١٧هـ

ثانياً : مؤلفات لمؤلفين آخرين :

١ - تسعة أيام في الهند لعبد العزيز محمد البصيص مطبعة النرجس ١٤١٦هـ

٢ - مسابقات ومعلومات المجموعة الأولى لعبد الرحمن الدوسري مطبعة سفير ١٤١٥هـ

٣ - مسابقات ومعلومات المجموعة الأولى لعبد الرحمن الدوسري مطبعة العبيكان ١٤١٦هـ

٤ - المرشد لتبسيط الإنجليزية الأول متوسط لمحمد يونس الطعاني مطبعة الحميضي ١٤١٧هـ

٥ - المرشد لتبسيط الإنجليزية الثاني متوسط لمحمد يونس الطعاني مطبعة العبيكان ١٤١٦هـ

٦ - المرشد لتبسيط الإنجليزية الثالث متوسط لمحمد يونس ا لطعاني مطبعة العبيكان ١٤١٦هـ

٧ - المرشد لتبسيط الرياضيات الأول الثانوي لمصطفى رشدي مطبعة الحميضي ١٤١٧هـ.

سيصدر عن دار ابن حزم قريباً

ـ إن شاء الله ـ

* كيف يموت العشاق لأبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري .
* قراءات في ملامح الزمن للدكتور يحيى محمود جنيد (الساعاتي) .
* هموم سياسية .
* الميتافيزيقا التاريخية .
* العرب فضلاً ونسباً .
* من أحكام الديانة .

وكلها لأبي عبد ا لرحمن.

سيصدر عن دار ابن حزم قريباً

- إن شاء الله -

* كيف يموت العشاق .

لأبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري .

* قراءات في ملامح الزمن

للدكتور يحيى محمود جنيد (الساعاتي) .

* هموم سياسية .

* الميتافيزيقا التاريخية .

* العرب فضيلة ونسباً .

* من أحكام الديانة .

وكلها لأبي عبد الرحمن

ردمك : ٩٩٦٠-٧٩٥-٢٠-٩

دار ابن حزم للنشر والتوزيع

مطابع الحميضي ت ٤٢٥٠٦٢٥ - ٤٥٨١٠٠٠ الرياض